

ا.د.سعاد هادي حسن الطائي

تاريخ العصر العباسي المتأخر

المرحلة الرابعة

عنوان المحاضرة :العلاقات السياسية

والعسكرية بين الامارة السامانية والقراخانية

(226-389هـ/840-998م)

* أولاً : الموقف السياسي والعسكري للسامانيين من ظهور القراخانيين (226 - 383هـ)/(840 - 993م) :

اتخذت العلاقات السياسية بين الأمانة السامانية والقراخانية نهجاً غير مستقر، فتارة نجدها علاقات هادئة أساسها الوفاق وتارة أخرى نجدها مضطربة حسب ما تقتضيه المصالح السياسية لكلا الطرفين ، وعلى أساس ذلك أتخذ الأمراء السامانيين مواقف متباينة من ظهور القراخانيين . كان السامانيون ومنذ القرن 4هـ/10م والنصف الأول من القرن 5هـ/11م ، يبعثون بحملاتهم العسكرية الى مناطق السهوب وذلك لاختضاع الاتراك تحت سيطرتهم ، وكان هدفهم من ارسال هذه الحملات هو نشر الدين الاسلامي بينهم.

فقد نجح الامير الساماني نوح بن اسد من فتح مدينة اسفيجاب سنة 226هـ/ 840م ، وامر ببناء حائطٍ يحيط بمزارع الكروم ولحماية المنطقة من غارات الاتراك الكفار .

وفي سنة 280هـ / 893م تمكن الامير الساماني اسماعيل بن احمد من فتح مدينة طراز ، وبنى مسجد جامع بدل الكنيسة التي كانت موجودة فيها ، واسرّ ملكهم واباه وزوجته خاتون فضلاً عن عشرة الاف اسير من الاتراك ، وقتل اعداداً كبيرةً منهم وغنم الكثير من الغنائم واصاب الفارس من الغنيمة الف درهم ، وسرعان ما اعتنق امير طراز مع عدد من الدهاقنة الدين الاسلامي ، وتليت الخطبة باسم الخليفة العباسي المعتضد بالله (279-289هـ) / (892 – 901م) ، و قدّ الخليفة المعتضد بالله الأمير إسماعيل بن احمد الساماني ولاية خراسان وبلاد ماوراء النهر وخلع عليه خلع السلطنة اكراماً له على ما حققه من انتصارات عسكرية .

الا ان الاتراك رفضوا الاستمرار في الخضوع لسلطة السامانيين ، ففي سنة 291هـ/903م قام الاتراك الكفار بشن هجماتهم العسكرية على املاك الامارة السامانية وذلك محاولة منهم للاستيلاء على بلاد ما وراء النهر .

وتذكر المصادر التاريخية عن ذلك: (خرجت الترك في خلق كثير لا يحصون الى ما وراء النهر وكان في عسكرهم سبعمائة قبة تركية ولا تكون الا للرؤساء منهم) وقد تمكن الامير الساماني اسماعيل بن احمد من الحاق الهزيمة بهم ، واخذ يشجع المسلمين على القتال والجهاد ، وارسل رسالة الى الخليفة العباسي المعتضد بالله يوضح له فيها اهم خطواته العسكرية في مواجهته للاتراك .

وفي سنة 301 هـ / 913م تمكن الامير اسماعيل بن احمد الساماني والي خراسان من الحاق الهزيمة بالاتراك الذين قاموا بحملة عسكرية اخرى على املاك الامارة السامانية في خراسان ، وقتلوا عدداً من اهلها واسروا آخرين ، وبعث الامير احمد الى الخليفة العباسي المقتدر بالله (295-320 هـ) / (907-932م) رسولاً يبشره بهذا النصر ، وطلب منه ان يوليه شرطة بغداد واعمال فارس وكرمان، فولاه على كرمان فقط وكتب له الخليفة كتاباً بذلك .

ونجح الامير الساماني نصر بن احمد بن اسماعيل من فرض سيطرته على مدينة شاوغرو على مدينة هفت دة، او (هفتدة).

الا ان الاتراك تمكنوا سنة 331هـ / 942م من فرض سيطرتهم على مدينة اسفيجاب وعلى مدينة بلاساغون والتي كانت مقراً للخاقان الاكبر . وقام الاتراك بشن هجوم اخر على املاك الامارة السامانية سنة 332هـ / 943م، الا ان السامانيين تمكنوا من الحاق الهزيمة بهم ، واسرو ابن الخاقان ، وبقي السامانيون يفرضون سيطرتهم على الاتراك الشرقيين حتى النصف الثاني من القرن 4هـ / 10م والدليل على ذلك اثار الرباط الذي بُني بأمر من الأمير فائق والي هراة قرب مدينة ميركي

ويبدو ان القراخانيين لم يرضوا باستمرار خضوعهم تحت سيطرة السامانيين، فطموحهم في السيطرة على املاكهم قد ازداد لاسيما بعد اعتناقهم الدين الاسلامي في عهد اميرهم ستوق او (سبق) بغراخان عبد الكريم (315 - 344هـ) / (927 - 955م) وفي عهد حفيدة هارون بن سليمان المعروف ببغراخان ايلك الملقب بلقب شهاب الدولة وظهير الدعوة والذي نقش اسمه ولقبه على السكة في سنة 382هـ / 992م..

ومن الجدير بالذكر ان القراخانيين على الرغم من انتصاراتهم التي حققوها لم يندفعوا باتجاه الشرق لنشر الدين الاسلامي فيها مما يُتيح لهم الفرصة لفرض سيطرتهم حتى حدود الصين ، بل اتجهوا باتجاه الغرب وبالتحديد باتجاه اراضي الأتراك الغربيين ، ولعل السبب في ذلك يعود الى خشيتهم من الاصطدام بقوة اباطرة الصين ، كذلك لأزدهار الحضارة في الغرب ووفرة خيراتها ، كل ذلك كان عاملاً مهماً لجذب أنظار القراخانيين نحو الغرب

وكان لطبقة الدهاقين في بلاد ما وراء النهر دورٌ كبيرٌ في تشجيع القراخانيين على التوجه نحو الغرب ويُسروا لهم مهمتهم واطلعوهم على مسالك البلاد وطرقها ، اذ لم يحصلوا على الكثير من الامتيازات في عهد السامانيين ، وان الفائدة التي جناها هؤلاء الدهاقون تضاعفت بعد ان تمكن القراخانيون من فرض سيطرتهم على املاك السامانيين . وقد عُثر على عملة مسكوكة في عهد القراخانيين ضُرب عليها اسم دهقان ايلاق، وهذا الامر يدل على المكانة السياسية والادارية والاقتصادية التي كان يتمتع بها دهاقنة بلاد ما وراء النهر في عهد القراخانيين .

* ثانياً : سيطرة القراخانيين على بلاد ما وراء النهر ونهاية الإمارة السامانية سنة 389هـ/998م

قرر الأمير القراخاني شمس الدولة ناصر الحق محاربة السامانيين ، وبدأ باعداد العدة من أجل ذلك . ففي سنة 387هـ / 997م اعلن الأمير القراخاني شمس الدولة ناصر الحق عن رغبته في فرض سيطرته على املاك الأمانة السامانية ، فبعث الامير نوح رسله الى الأمير الغزنوي سبكتكين وابنه محمود لمساعدته في صد هجمات الأمير القراخاني ، وقد استجاب الأمير سبكتكين لطلب مساعدته فقاد جيشه معسكراً بهم بين مدينتي نسف وكش ثم لحق به ابنه الأمير محمود ، اما الامير القراخاني فقد جمع اعداداً كبيرة من المقاتلين الاتراك من سائر النواحي ، وبعث الأمير سبكتكين رسله الى الأمير الساماني نوح طالباً منه القدوم اليه الا انه رفض ذلك وبعث نيابةً عنه عدداً من قاداته وجمعاً من عساكره وجعلهم تحت تصرفه ، وعلى الرغم من هذه الاستعدادات العسكرية لم تحدث اية معارك عسكرية بينهما ، فبعث الامير القراخاني رسله الى الأمير الغزنوي سبكتكين طالباً منه عقد الصلح ، وقد وافق الامير سبكتكين على ذلك وتم عقد معاهدة بينهما على ان تكون بادية قطوان حداً فاصلاً بين املاك السامانيين والقراخانيين على ان تتم سيطرتهم على كل البلاد الواقعة شمال حوض طبرستان، وبهذا احتفظت الإمارة القراخانية بحوض نهر سيحون كله الا انهم لم يتخذوا من بخارى عاصمةً لهم، بل اصبحت كاشغر عاصمتهم واصبحت بلاد ما وراء النهر تابعةً لهم .

وبعد وفاة الأمير الساماني نوح بن منصور سنة 387هـ / 997م ، تولى الامارة السامانية ابو الحارث منصور بن نوح بن عبد الملك بن نوح ، ففي عهده اتصل عدد من اركان دولته بالامير القراخاني شمس الدولة ناصر الحق محرزين اياه على القضاء على نفوذ السامانيين ، فتوجه الأمير القراخاني الى بخارى ، ففر الأمير ابو الحارث منها ، وتمكن الأمير القراخاني شمس الدولة ناصر الحق من فرض سيطرته على بخارى ، الا ان الأمير فائق الذي ولاه الأمير ابو الحارث إدارة أمور الدولة قد شجعه على استعادة ملكه ، فوجه عساكره الى بخارى وفرض سيطرته عليها .

بينما ذكر ابن الاثير ان الأمير القراخاني بعد ان بلغه خبر وفاة الأمير نوح بن منصور توجه الى سمرقند وانضم اليه الأمير فائق فسيره مع عساكره الى بخارى ، ففر الأمير ابو الحارث من بخارى ودخلها الأمير فائق الا انه اظهر انه قد قصد من ذلك ان يكون في خدمة الأمير الساماني ، وارسل اليه مشايخ بخارى واعطاه مايطمئن اليه من العهود والمواثيق فعاد اليها ودخلها.

وفي سنة 389هـ / 998م نجح الأمير القراخاني من فرض سيطرته على بلاد ما وراء النهر والاطاحه بالأمانة السامانية .

وبعد ان تم القضاء على الامارة السامانية تم الاتفاق بين الامير القراخاني ناصر الحق والسلطان محمود الغزنوي على اقتسام املاك الامارة السامانية اذ اصبحت بلاد ما وراء النهر خاضعة لسلطة القراخانيين بينما اصبحت خراسان خاضعة لسلطة السلطان محمود الغزنوي.

وعلى الرغم من نجاح القراخانيين في فرض سيطرتهم على بلاد ما وراء النهر الا انهم لم يستقروا في بخارى ولا في سمرقند بل اتخذوا من مدينة اوزكند الواقعة الى الشرق من فرغانة عاصمة لهم فقد كانت بالنسبة لهم اكثر أمناً من المدن الاخرى.